ديوان المعاني

وفهرسة أشعاره

الدكتور شاكر الفحام

ديوان المعاني من الكتب التي تأنق أبو هلال العسكري في تصنيفها. أودعه أجمل ماقيل في المعاني المختلفة من الشعر الرائع، وضمَّ إليه جُمَلاً من المنثور. وقد أفصح في مقدمة كتابه عن الطريق التي سلكها في تأليفه فقال: «جمعتُ في هذا الكتاب أبلغ ماجاء في كل فن، وأبدع ماروي في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواريها وشذاذها، وتخيرتُ من ذلك ماكان جيد النظم، محكم الرصف، غير مهلهل رخو، ولا متجعد فج...»[1]. وجعل أبو هلال كتابه اثني عشر باباً،[2] حوت ذخائر من عيون الشعر وجيد النثر.

وقد نشر الأستاذ حسام الدين القدسي الكتاب بالقاهرة عام ١٣٥٢هـ في مجلدين. وخلا الكتاب من فهارس تُنير درب قارئه، وتسهّل الانتفاع به، فلم يكن بُدٌّ من فهرسته لاظهار نفائسه، وتقريبها إلى الطالبين، فنهض الصديق الأستاذ محمود الطناحي بالأمر على خير وجه، ففهرس الشعر، وقدّم بين يدي ذلك دراسة موجزة تناولت الكتاب، وكشفت عن جملة من قضايا النقد التي عرضها العسكري، ثم تحدث الحديث المعجب عن العروض

---

(١) ديوان المعاني ١: ٧.

(٢) ديوان المعاني ١: ١٤.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الكتاب ليخلص إلى ضرورة الفهرسة، وبيان فوائدها في مجال البحث[٣].

لقد صنع الأستاذ الطناحي فهارس لأشعار الكتاب[٤]فأحسن صنعها، وبذل مابذل لتصحيح ماضطرب من الشعر، فرجع إلى دواوين الشعراء، ونسب بعض مالم ينسبه أبو هلال، وأصلح نسبة بعض ماسها عنه، وذكر الخلاف في نسبة الأبيات[٥]، فأتى بطُرَرٍ أغلى من الدرر، لما حوت من الفوائد، وما ضمت من النوادر، دع عنك ماأصلحت من الغلط.

وإني لأرجو أن تحفز هذه الجهود الطيبة المثمرة الأستاذَ الطناحي أن يتابع خطاه فيتولى تحقيق الكتاب ثانية على النحو الذي جرى عليه في تحقيقاته السابقة، ويعيد له رونقه ونضارته، فيقدم للأجيال الناشئة كنزاً من كنوز العربية، بعد أن سهّل الطريق إليه، ويسّر سُبل الانتفاع به.

ومما نهض به الأستاذ الطناحي أنه جهد جهده في تقليب صفحات الدواوين لاكمال الأبيات التي روى أبو هلال أنصافها أو أجزاء منها[٦]. ولذلك فقد عجبتُ وأنا أتصفح ماجاء به في الفهرس بعنوان (أنصاف الأبيات)[٧]، إذ أغفل في كثير منها ذكر النصف الثاني من البيت في تعليقاته على غير مادرج عليه. لعله أهمل إيراد جملة منها لشهرته وسيرورته كأقوال البحتري والأعشى والفرزدق وامرئ القيس ومعن بن أوس وجرير....

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٦٦/ج ٣، ص ٤٥٦– ٤٦٠.
(٤) مجلة المجمع، مج ٦٦/ ج١، ٣، مج ٦٩/ ج١، ٢، ٣، مج ٧٠/ ج ١.
(٥) مجلة المجمع، مج ٦٦/ ج٣، ص ٤٦٢– ٤٦٣.
(٦) مجلة المجمع، مج ٦٦/ ج٣، ص ٤٦٢.
(٧) مجلة المجمع، مج ٧٠/ ج١، ص ٥٩– ٦٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعله اكتفى أحياناً بالإشارة إلى موضعها في الديوان. وكنت أوثر أن يمضي الأستاذ على نهجه الذي ارتضاه، فيذكر تتمات الأبيات، وجلُّها مما يعرفه، ويشير إلى مصادرها. وتبقى بعد ذلك قلة قليلة من هذه الأنصاف التي يمكن أن يتهدى العلماء والباحثون إلى تتماتها ونسبتها إلى أصحابها.

ومما أهمل إكماله والإشارة إلى تتمته قول الشاعر:

ومافي الأرض أشقى من محب[٨]

فقد أورده أبو هلال نفسه في ديوان المعاني[٩] في جملة أربعة أبيات. وهذه هي:

ومافي الأرض أشقى من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً في كل حين مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي وتسخن عينه عند التلاقي

قلتُ: وقد نسب صاحب تزيين الأسواق[١٠] هذه الأبيات إلى نصيب بن رباح. وأوردها جامع شعر ماني الموسوس، وخرّجها في الزهرة وديوان المعاني وزهر الآداب والذخيرة ومحاضرات الأدباء ولذة السمع[١١].

وذكر أبو هلال قولهم في الاختبار:

لاتحمدنَّ امرأ حتى تجرّبه

فعلّق الأستاذ الطناحي بقوله: «هو من الشعر السيار، وتمامه: ولاتذمنه من

(٨) مجلة المجمع، مج ٧٠/ ج١، ص ٦٣، ديوان المعاني ١: ٢٨٣.
(٩) ديوان المعاني ١: ٢٦٦- ٢٦٧.
(١٠) تزيين الأسواق: ٨٤.
(١١) شعر ماني الموسوس- دمشق ١٩٨٨، ص ٨٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غير تجريب، وينسب للنابغة الذبياني، ولأبي الأسود الدؤلي. راجع بهجة المجالس ١/٦٥١»[١٢].

ومن الحق أنها حكمة ترددت في الأشعار وسارت. أُعجب بها أبو نواس فضمنّها شعره. من ذلك مقطعته التي مطلعها :

إني عجبت وفي الأيام معتبر والدهرُ يأتي بألوان الأعاجيبِ

فقد ختمها بقوله :

قد كان لي مثل لو كنت أعقله من قول غالب لفظ غير مغلوب

لاتحمدَنَّ امرأً حتى تجرّبه ولا تذمنَّه من غير تجريب[١٣]

وكذلك كان شأن أبي نواس في مقطعته التي مطلعها :

شمّر ثيابك في قتلي وتعذيبي فقد تسربلتَ ثوب الحسن والطيبِ

فقد جاء في ختامها :

وافهم فديتك بيتاً سائراً مثلاً من أول كان يأتي بالأعاجيب

لاتحمدنَّ امرأً حتى تجربه ولا تذمنّه من غير تجريب[١٤]

وقال بشار ماتحاً من تلك الحكمة :

لايخرج الحمدُ مني قبل تجربة ولا أكون أجاجاً بعد تجريب[١٥]

وذكر ابن عبد البر لهذه الحكمة تتمة أخرى حين روى قول الشاعر :

لاتحمدنَّ امرأً حتى تجربه فربما لم يوافق خُبْره خَبَره[١٦]

---

(١٢) مجلة المجمع، مج ٧٠/ج١، ص ٦١.

(١٣) ديوان أبي نواس (تح. ايفالد فاغنر) ١: ٣٤٧.

(١٤) ديوان أبي نواس (تح. ايفالد فاغنر) ٤: ١٦٩.

(١٥) ديوان بشار ١: ١٩٧.

(١٦) بهجة المجالس ٢/١: ٦٥٤.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستوقف الأستاذَ الطناحي شطرٌ أورده أبو هلال مطلع قصيدة :

أفيضا دماً إن الرزايا لها قيم

ثم تابع بعد ذلك العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله بنسبته إلى بشار بن برد، ونقل تعليق الشيخ: «لم يظهر المخاطب بقوله: (أفيضا) ولا المراد بهذا الكلام»(١٧).

وكنتُ بيّنتُ في كلمة لي سابقة أن عبارة أبي هلال العسكري قد غُمّ أمرها على الشيخ الطاهر أجزل الله مثوبته، ولم يتضح له المراد بها. فأبو هلال يتحدث عن ابن الرومي والتزامه مالايلزم من فتح ماقبل حرف الرويّ، وجاء ذكر بشار عرضاً .

وقولُه :

أفيضا دماً إن الرزايا لها قيم [فليس كثيراً أن تجودا لها بدم]

إنما هو مطلع قصيدة طويلة لابن الرومي قالها في رثاء أمه، وعدد أبيات القصيدة كما جاءت في الديوان: خمسة أبيات ومئتا بيت(١٨). والشاعر يخاطب في المطلع عينيه، ويطلب إليهما أن تبكيا أحرَّ بكاء على أعزَّ مفقود رزئ به(١٩).

لعل كلمتي القصيرة تؤدي غرضها، فينهض الأستاذ الطناحي بتحقيق هذا الكتاب النفيس من كتب أبي هلال، بعد أن وطّأ لمثل هذا العمل أحسن توطئة بصنع هذا الفهرس الجيّد المعجب.

---

(١٧) مجلة المجمع، مج ٧٠/ ج١، ص٥٩.

(١٨) ديوان ابن الرومي (القاهرة، ط ١٩٨١) ٦: ٢٢٩٩- ٢٣١٢.

(١٩) كتابنا: نظرات في ديوان بشار بن برد (دمشق، ط ٢/ ١٩٨٣م): ٤٣- ٤٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net